مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 05 العدد 03 جوان 2022 ص ص: 388ـ411
ر س ع و (ISSN): 2602ـX618 / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

تطوّر المواد الدراسية بالدولة الزيانية

School subjects development in Tlemcen Ziyanides

طاهير عبد الكريم♦

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف a.tahir@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2022/02/01 تاريخ القبول: 2022/05/30 تاريخ النشر: 2022/06/15

الملخص باللغة العربية: شهد العصر الزياني في سنواته الأولى الاعتماد بشكل كامل على تدريس القرآن الكريم كمادة تدريسية، باعتباره أصل الدين والعلم، فقد اكتفى الزيانيون بتعليم القرآن ورسمه، وهو ما يشير إلى تأخرهم عن بقية أقطار المشرق والأندلس، ولكنّ الحركية العلمية التي عرفتها الدولة الزيانية ساهمت في تطوير المواد الدراسية وذلك بفضل وصول علماء الأندلس إلى عاصمة الزيانيين، وكذلك بفعل عودة بعض شيوخ تلمسان من بلاد المشرق وإفريقية، حيث تأثرت تلمسان بمنهج الأندلسيين والمشارقة، وهو ما أضفى على المواد المدرسة بتلمسان طابع التنوع والثراء، فشهدت تلمسان إدخال بعض المواد الجديدة للتدريس في مجال الشعر، واللغة العربية، الحديث، الخط الكتابة، العلوم المختلفة ومنها علوم القرآن الكريم، فأثر ذلك على تطوّر ميدان التعليم والمتعلمين، وعلى بروز نخبة من العلماء والفقهاء، الأدباء والشعراء.

وهذا المقال هو محاولة للبحث في تطور المواد الدراسة في العصر الزياني، والعوامل التي ساهمت في تطورها، وأهم النتائج التي أحدثها تطور المواد الدراسية.

الكلمات المفتاحية: المواد الدراسية؛ تلمسان؛ الدولة الزيانية؛ المدارس؛ العلماء

Abstract: The Zayanids experienced in its early years a complete dependence on the teaching of the Holy Quran as a subject of instruction, as it is the origin of religion and science. The Zayanites were content to teach and draw the Koran, which indicates their backwardness compared to the rest of the countries of the Levant and Andalusia, but the scientific movement that the state was experiencing contributed to the development of school subjects. Thanks to the arrival of Andalusian scholars in the capital

♦ المؤلف المرسل

of the Zayanians, as well as the return of some of the sheikhs of Tlemcen from the countries of the East and Africa, where Tlemcen was affected by the approach of the Andalusians and of the Mashreq, which gave the school materials of Tlemcen the character of diversity and richness, Tlemcen witnessed the introduction of some new materials for teaching in the field of poetry, and the Arabic language, the hadith, calligraphy and writing, various sciences including the sciences of the Noble Quran, and this has affected the development of the field of education and learners, and the emergence of a group of scholars and and jurists, of writers and poets.

Keywords: school; subjec; Tlemcen; The Zianids; Schools; jurists

مقدمة:

حظيت تلمسان في العصر الزياني بمكانة سياسية وعلمية متميزة، إذ أصبحت عاصمة ملك سياسي بالمغرب الأوسط، وارتقت بفضل ذلك إلى مصاف العواصم الإسلامية ذات المكانة العلمية، يحج إليها طلاب العلم من الداخل والخارج، مستفيدة من رصيدها الحضاري الذي عرفته إبان عصري المرابطين والموحدين، وإذا كان العصر الزياني هو عهد للتخلص من التبعات الفكرية السابقة خاصة الموحدية منها، فإنّه كذلك عهد بناء حضاري، وعلمي بالدرجة الأولى، وإذا كان الأمر كذلك فقد سعى سلاطين بني زياد واجتهدوا للدفع بالحركة العلمية من خلال الاهتمام أساسا بالتعليم الذي كلف به كبار العلماء سواء الذين قدموا من المراكز العلمية الإسلامية الكبرى أو الذين أنتجتهم مدارس تلمسان .

إنّ اهتمام السلطة الزيانية بالتعليم يعني بالضرورة الاهتمام بالمواد المدروسة التي كانت تلقن لطلبة العلم، ومن خلال هذا المقال نحاول طرح إشكالية تتمحور حول تطوّر المواد الدراسية بتلمسان خلال العصر الزياني من خلال تتبع أطوار الحركة العلمية منذ بداياتها محاولين رصد أهم التأثيرات التي يمكن أن تؤدي إلى تطوّر المواد الدراسية ومقارنتها بما كان يجري في الحواضر العلمية الإسلامية الكبرى.

1- المواد الدراسية في بداية العهد الزياني:

تخضع المواد الدراسية في الإسلام في اختيار العلوم التي تقدم للمتعلم إلى مجموعة من الاعتبارات الرئيسية، ويأتي في المقام الأوّل الاهتمام بنقاوتها وأشرفها، وأعلى

العلوم ما يتعلق بمعرفة الله عز وجل، وهو أمر يتماشى مع الهدف الأسمى من التربية الإسلامية، وهو معرفة الخالق، وما يتصل بها من علوم اللسان واللغة التي تمهد لدراسة العلوم الدينية، وبذلك فالعلوم في الإسلام ثلاث درجات: علم أعلى وعلم أسفل، وعلم أوسط، فالعلم الأعلى هو علم الدين، والعلم الأوسط هو علم معرفة علوم الدنيا كعلم الطب، والهندسة، والعلم الأسفل هو احكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة، والفروسية والخط، وهي التي تحصل بتدريب الجوارح[1].

1.1-التعليم قبل ظهور الزيانيين

كان التعليم في بداياته ببلاد المغرب يهدف إلى ترسيخ الإيمان بالإسلام وشرائعه في نفوس أهل المغرب وبث الأخلاق الإسلامية، وقد لعب المسجد خاصة في الحواضر الكبرى في هذه الفترة دورا مهما في تأدية هذه المهمة، ثم سارت الأجيال اللاحقة على نفس النهج في تحقيق التنشئة الدينية تماشيا مع المتغيرات الفقهية المذهبية والفكرية المختلفة، وتأثرا بالتحولات السياسية التي عرفتها منطقة المغرب الإسلامي، وبذلك فقد تأثرت المواد الدراسية بمختلف هذه التطورات، فإذا كان التعليم في بداياته عبارة عن دعوة إسلامية قادها الفاتحون الأوائل فإنّ بلاد المغرب سرعان ما تحولت إلى مسرح متعدد المذاهب يسعى فيه كل مذهب إلى غرس مبادئه في تربة خصبة، وقد كان لكل مذهب نصيب خاصة بعد تشكل الكيانات السياسية والمذهبية المستقلة مثل: الأدارسة، الأغالبة، الرستميين، وبنو مدرار، ومن بعدهم الفاطميين، إلاّ أنّ دور الدولة لم يظهر بصورة واضحة إلاّ خلال القرن الخامس الهجري، ثم في عهد الموحدين وبني زيان[2].

وكان التعليم في الفترة المذكورة سلفا يعتمد على شرح الآيات القرآنية، وتفسيرها، ولا سيما منها الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر، والمبشرة بالجنة، والمنذرة بالنار، والمخبرة بخبر الأولين، والمحكمة يعمل بها والمتشابهة يؤمن بها، والحلال الذي يؤخذ به، والحرام الذي يتجنبه المسلم[3]، وتفرعت عن هذا التعليم بعض

1- ابن البر النمر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ج2، المكتبة السلفية، 1968، ص46.

2- يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية 1980، ص100؛ ألفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص62-63.

3- اسكان الحسين تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/7-15م)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية (سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 2-)، الرباط 2004.

الأشكال التعليمية، وأصبحت لهذا التعليم مناصب دينية وإدارية واجتماعية فيما بعد، مثل الإمامة، القضاء، الفتيا، والحسبة[4]، وهو نوع من التعليم الذي أطلق عليه بالتعليم غير الاحترافي الصناعي[5]، ونتج عن هذا النوع من التعليم تشكل مجتمع إسلامي مرتبط بشكل وطيد بالشريعة الإسلامية، لذلك فقدت أشرفت الدولة في بعض الأحيان على هذا النوع من التعليم بالاعتماد على مجموعة من الفقهاء والمعلمين[6]، ذلك أنّ الحاكم وفق الشريعة الإسلامية ملزم شرعا "بتبليغ التّكاليف الشرعية وحمل الناس عليها[7].

ازدهر هذا النوع من التعليم قبل ظهور الزيانيين، فقد برز في عهد المرابطين، وزاد ازدهاره في عهد الموحدين لارتباطه بحركة فكرية دينية تجديدية كانت بحاجة إلى الترسيخ في نفوس أهل المغرب[8]، بل أنّ الموحدين اهتموا بالتعليم في جانبه التربوي، فألف ابن تومرت مؤلفا يدرسه الأتباع والمؤيدون، كان سهلا ومبسطا لتسهيل فهمه، وهو كتاب التوحيد الذي قسمه إلى سبعة أجزاء، بحسب أيّام الأسبوع[9]، وكان يقوم بتدريسه للطلبة بنفسه، أو يستعين ببعض أتباعه وقسم الدارسين إلى أفواج، واستخدم عدة طرق لتحفيظ الفاتحة، لشدة عجم أتباعه[10]، وسن لهم قراءة الحزب القرآني كل صباح ومساء، وعمّم هذه الطريقة، من بعده يوسف بن عبد المؤمن على جميع بلاد المغرب[11].

وقد انتظم التعليم الشعبي العام في عهد الموحدين، وصارت الدروس تلقى بانتظام كل يوم، في الصباح شتاءا وفي المساء صيفا، أمّا المدرس خلال هذه الفترة فقد أصبح يتلقى أجرة من الأحباس[12].

4- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال وكولان، دار الثقافة، بيروت، 1967، ج1، ص48.

5- ابن خلدون، المقدمة، طبعة جديدة منقحة ومصححة، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص588.

6- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العصر الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج2، موقم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص339، 340.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ص387.

8- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص340.

9- ابن القطان، نظم الجمان، تح: محمود علي مكي، طبعة جامعة محمد الخامس، الرباط، ص74.

10- السلاوي الناصري، الاستقصاء، ج1، دار الكتاب، ، الدار البيضاء، ص138.

11- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص340، 341.

12- حسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1980، ص177- 178.

أثر التعليم الشعبي تأثيرا مباشرا على أساليب ومناهج التعليم الاحترافي، وأثر بشكل مباشر على الحياة الثقافية والفكرية لأهل المغرب، ولما كان هذا النوع من التعليم يعتمد على الطريقة الشفوية، فقد انتقلت هذه الطريقة إلى التعليم الإحترافي فصار الطلاب والمدرسون، يعتمدون على الرواية الشفوية، برغم استعمال الكتابة وأدواتها، وشيوع الكتب المدرسية المقررة، وصار الاعتماد على الحفظ ظاهرة شائعة عند المتعلمين، وهو الأمر الذي جعل المتعلمين يلتفون حول الشيخ مباشرة للأخذ عنه، فضلا عن ظاهرة الرحلة في طلب العلم، التي صارت من التقاليد الشائعة[13]. كما أثر التعليم العام على تنظيم الدروس في شكل حلقات لكافة الناس يحضرها من يرغب فيها مهما كانت مستوياتهم أو أعمارهم، ولهذا كانت الدروس تلقى في المساجد، ولم تظهر الدروس الخاصة إلا مع ظهور المدارس[14].

تجدر الإشارة إلى أنّ رجال التعليم في بلاد المغرب كان لهم دور سياسي مهم، ففي عهد المرابطين كان لمجموعة من الشخصيات دور تعليمي مهم وظف في تغيير الوضع السياسي، ومنهم أبو عمران الفاسي، ووجاج بن زلو اللمطي، وعبد الله بن ياسين، وكان صاحب الإنقلاب السياسي والفكري الذي أنشأ دولة الموحدين، طالب أنهى دراسته في بلاد المشرق هو المهدي بن تومرت، حينما جاء معلما، ثمّ أدخل تنظيمات جديدة في التعليم، واعتمد على عنصر الطلاب، والحُفاظ في التربية والتعليم، واعتمد في استمرارية الدولة[15].

2.1- المراحل التعليمية بالمؤسسات التعليمية

لم تخرج تلمسان في مجال التعليم عن نظرائها من الدويلات المستقلة عن الموحدين خاصة في المغرب الأقصى، وقد ذكر ذلك عبد الرحمان بن خلدون الذي وصف حال التعليم ببلاد المغرب، حيث ذكر أنّ أهم المواد المدروسة في المرحلة الابتدائية هي القرآن الكريم، لأنّه أصل التعليم ومنبع الدين والعلوم، فقد اقتصر التعليم خلال هذه المرحلة على دراسة القرآن حفظا وكتابة، ويمتد ذلك من مرحلة الصبا إلى مرحلة الشباب[16]، ويمتد ذلك من سن الخامسة إلى السابعة على وجه العموم، وكان تعليم

13- اسكان الحسين، المرجع السابق، ص21-22.

14 -Bel(Afred), Les inscritions de Fés, J. A, 918 pp143-144.

15- اسكان الحسين، المرجع السابق، ص1.

16- ابن خلدون، المصدر السابق، ص587.

الصغار يتم في بيت المؤدب أو في الكتاب لعدم تحفظ الصبيان من النجاسة[17]، لأنّ تعليم الصغار أشد رسوخا وحفظا وهو أصل لما بعده، حسب تعبير ابن خلدون[18]، وحث السنوسي أن يكون المنهاج الدراسي مستمدا من نصوص الإسلام الأساسية المتمثلة في القرآن والسنة النبوية[19]، وكان المعلمون في دولة بني زيان يقتصرون في دروسهم للولدان على حفظ القرآن، ومدارسة رسمه، لا يخلطون ذلك بسواه، ويبدوا أنّ هذه الطريقة كانت سائدة بينما كان الأمر مختلفا عند أهل المشرق والأندلس وإفريقية[20].

وقد زاول مهنة تدريس الصبيان بتلمسان بعض الفقهاء المتصوفة[21]، وقد تمتع بعضهم بمكانة هامة على المستوى العلمي في إجادة التعليم وحفظ القرآن الكريم، كالفقيه الشيخ الولي أبي يوسف يعقوب بن علي الصنهاجي (كان حيا بعد 681هـ/1282م)[22]، الذي كان مبرزا في القراءة والتعليم...مجاب الدعوة، قرأ عليه أكثر أهل تلمسان، كوالد ابن مرزوق الخطيب أحد طلبته، كما قام "الفقيه الصالح الولي"، الورع أبو زيد عبد الرحمان بن يعقوب[23] (كان حيا بعد 711هـ/1311م)[24] بتعليم الصبيان القرآن، وكان من طلبته أبو عبد الله الشريف، وابن مرزوق الخطيب[25].

أمّا المرحلة الثانية من التعليم فتأتي بعد الدراسة في الكُتّاب، التي يكون فيها الطالب قد حفظ القرآن وألّم بمبادئ الكتابة والقراءة والعربية، والقراءات في المتون وبعض العلوم، وينتظم التعليم في هذه المرحلة بالمساجد والمدارس، التي شيدت عبر مختلف أحياء مدينة تلمسان[26].

17- القابسي، الرسالة المفصلة في أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، تح: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1986، ص145-146.

18- ابن خلدون، المصدر السابق، ص587.

19- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص346.

20- ابن خلدون، المصدر السابق، ص587.

21- المصدر نفسه، ج1، 115.

22- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، 115.

23- التنبكتى أحمد بابا، نيل الالبتهاج بتطريز الديباج، نح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص431.

24- المصدر نفسه، ص431.

25- المصدر نفسه، ص431.

26- صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص263.

تتسم الدراسة في هذه المرحلة بحرية الطالب في اختيار المواد الدراسية، وهو غير مقيد بمقرر دراسي سنوي، لأنّه لا توجد وصاية أو سلطة تفرض عليه برنامجا محددا، وتراقب تنفيذه وتنظيم الامتحانات الفصلية والسنوية كما هو الحال في الوقت الحاضر[27].

2- تطور المواد الدراسية

1.2- عوامل تطور المواد الدراسية

كان للطالب حرية في اختيار المواد الدراسية، لكن حريته لم تكن مطلقة، بل كانت تحدد في بعض الأحيان من قبل الأساتذة والأولياء. وكان العامل أيضا في تحديد المقرر الدراسي يعود إلى أهمية المادة ومدى صعوبتها أو سهولتها، إذا كان الطلاب يضعون نصب أعينهم طموحاتهم وظروفهم، ويختارون المادة التي توفر لهم العمل، فكان أغلب الطلاب- فيما يبدوا- يتجهون لدراسة الفقه، لأنّه أهم طريقة للوصول إلى المال والجاه[28]، فقد فاقت عنايتهم بالفقه أي علم[29]، أمّا دراسة الحديث فإنّها تستغرق عدّة سنوات إذا ما قورنت بالمدّة التي تستغرقها دراسة الفقه، وتتطلب الرحلة لجمع الأسانيد، فضلا على أنّ دراسة الحديث يتطلب الدراية بالنحو واللغة وعلم الأصول في الفقه والكلام[30].

ومن العوامل المساعدة على تحديد مضمون المقرر الدراسي، الجو السياسي والمذهبي للدولة، إذ أنّ الدولة الزيانية كانت تشجع بطريق مباشر وغير مباشر العلوم التي تتلاءم مع مذهبها، وخاصة عندما أصبحت هي التي تحرك دواليب الاقتصاد، فكانت لها أيضا يد في تحريك عجلة الثقافة والعلم، عن طريق الأموال التي تقدمها للعلماء والأدباء والفقهاء والمتعلمين، وتنفقها على المدارس والمجالس العلمية التي تقام في البلاط الزياني، إذ كان السلاطين الزيانيون يشجعون الثقافة الأدبية، كالشعر والتاريخ ويتدخلون أحيانا بمنع تدريس بعض العلوم التي تخالف المذهب المالكي[31]. وكان الرأي السائد بين الناس يؤثر أيضا في اختيار المواد الدراسية، فقد كان الأساتذة يوجهون طلابهم وينصحونهم بالابتعاد عن دراسة العلوم المشبوهة، كالفلسفة أو بعض العلوم

27- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص347.

28- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص237.

29- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص348.

30- ابن مريم، المصدر السابق، ص245-246.

31- المصدر نفسه، ص261.

القريبة منها كالمنطق وغيره[32]، فكان الطلاب مضطرين إلى دراسة المواد الدينية كالتفسير والحديث، والفقه خاصة منه الفقه المالكي، والنحو واللغة ثم بعد ذلك ينتقلون إلى العلوم العقلية، كالفرائض والحساب والفلك والبيان التوحيد والطب، وغيرها من العلوم الطبيعية العقلية[33].

2.2- أهم المواد الدراسية:

بعدما تمكن الزيانيون من تثبيت نظام حكمهم بدأوا التطلع لتأسيس دولة أشبه بالدول الإسلامية العصرية آنذاك سواء كانت في المشرق أو المغرب، لذلك فقد أسسوا المدارس التعليمية، واستقطبوا خيرة العلماء، وهو مما كان أثره على الحركة التعليمية إجمالا، حيث أصبح بمقدور الطالب بتلمسان الزيانية دراسة العلوم المختلفة[34]، برغم أنّ المواد المدروسة عمليا في المدارس والمساجد التلمسانية كانت أقل من النصف من مجمل العلوم المعروفة عند المسلمين، وهي العلوم الموزعة بين علوم دينية، وعقلية وطبيعية[35]، فصار أهل المغرب ومنهم التلمسانيون يعلمون الأطفال في الكتاب النحو والحساب وغيرهما من المواد، إلى جانب القرآن والحديث[36]، وأصبحت هذه العادة شائعة في مدينة تلمسان منذ القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[37].

إضافة إلى المساجد والمدارس التي ساهمت في توسيع نشر العلوم في عهد الزيانيين ساعدت الزوايا التي بدأ ظهورها في القرن السادس الهجري، أي في عهد الموحدين، على زيادة توسيع دائرة العلوم المدروسة، فكانت الزاوية الشعبية تقوم بمهمة التعليم الديني على يد إمام الزاوية الرسمية، وعلى يد شيخ الزاوية الشعبية[38]، والتي كانت تقوم بتعليم الصبيان، إلا أن التعليم الاصطناعي أو الاحترافي[39]، كان قليلا فيها إلى غاية القرن التاسع الهجري، حيث بدأ التعليم الرسمي فيها يزدهر بسبب انتشار نفوذ الزوايا، وهيمنة شيوخها على عقول الناس، وكثر نشاطها في البوادي، وبالتالي أصبحت تساهم بقسط كبير في أن تطبع هذا التعليم بطابع التّصوف، وتجمع بين تدريس علم الظاهر،

32- ابن مريم، المصدر السابق، ص305.
33- لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني زيان، ابن النديم للنشر والتوزيع، ص271.
34- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص349.
35- ابن خلدون، المصدر السابق، ص588.
36- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص346.
37- ابن خلدون، المصدر السابق، ص588.
38- إسكان الحسين، المرجع السابق، ص84.
39- ابن خلدون، المصدر السابق، ص586.

وعلم الباطن أي بين ثقافة الفقهاء وثقافة المتصوفة[40]، وقد أسس أبو حمو موسى الثاني(761- 791هـ) زاوية على ضريح والده أبي يعقوب يتلمسان، وأسس أبو عنان زاوية الحلوي بتلمسان، ويبدوا أنّ حركة انتشار الزوايا الرسمية كانت موازية لانتشار المدارس[41].

كان المشرفون على المكتبات لا يقتنون كتب الفلسفة التي تتعارض محتوياها مع أفكار بعض الفقهاء المتشددين، بينما امتلئت رفوفها بأمهات الكتب الدينية المكتوبة بخط جميل، والمجلدة تجليدا رفيعا، وبالمصاحف وكتب الوعظ والتصوف والفقه، وعلم الكلام[42]، وكانت هذه الخزانات، تخضع إلى نظام وقوانين فرضها المحبسين منها عدم إخراج الكتب، خارج المدرسة أو المسجد[43].

تنقسم العلوم التي كانت تدرس في تلمسان إلى نوعين[44]:

النوع الأول العلوم النقلية: هي العلوم المتخصصة بالمسلمين[45]، وهي مستندة إلى الشرع مأخوذة من الكتاب والسنة[46]، وتنقسم إلى فرعين:

الفرع الأوّل: العلوم الدينية والشرعية، وتشمل : الفقه، الحديث، التفسير، أصول الكلام، أصول الدين، القراءات، الفرائض، التصوف، الرؤيا.

ازدهرت العلوم النقلية في تلمسان، وكثر إقبال الطلبة عليها، لأنّها تمكن الطلبة من الحصول على وظائف ومناصب هامة، سواء في القضاء أو الخطابة أو الدواوين الإدارية، وغيرها من المناصب.

40- اسكان الحسين، المرجع السابق، ص84.

41- المرجع نفسه، ص84.

42- عبد الوهاب بن منصور، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1965، ص83-84.

43- المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: سعيد أحمد عراب وعبد السلام الهراس، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامى، مطبعة فضالة المحمدية، 1980، ج3، ص36.

44- القلقشندي، صبح الاعشى في كتابة الإنشا، ج1، دار الكتب المصرية، 1922، ص467-481.

45- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، 2002، ص230.

46- التنسى، تاريخ بنى زيان ملوك تلمسان، مقتطف من : نظم الدرر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان ملوك تلمسان، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص161، أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ص247.

الفرع الثاني: العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتشمل الشعر، الأدب، اللغة، البلاغة، النحو، التاريخ، التراجم، الجغرافيا[1]، وقد اهتم طلاب تلمسان بالعلوم اللسانية والاجتماعية وذلك لعلاقتها بعلم القرآن والحديث، ولأنّها تمنحهم بعض المناصب في الدولة[2].

النوع الثاني: العلوم العقلية

هي علوم طبيعية للإنسان غير مختصة بملة معينة، وهي قديمة قدم الإنسان، وتشمل الفلسفة والحكمة، وهي على أربعة أنواع.

3.2- مظاهر تطوّ المواد الدراسية

لم تعرف المدارس بتلمسان الزيانية في منهجها التّعليمي نظام التخصصات، بل كان قائما على أسلوب تنوع العلوم ما بين العقلية والنقلية، إلاّ فيما يتعلق بتخصيص المذهب المالكي في دراسة الفقه باعتباره المذهب الرسمي للدولة[3]، والذي نال العناية القصوى من قبل علماء الدولة[4]، ولم يكن المقرر الدراسي للمدارس خاضعا لاختيار السلطة، حيث أنّها لم تفرض على المدرسة برنامجا محددا للدراسة، ومن جهة أخرى لم تعارض ما كان يدرس بها[5].

-الاعتماد على أمهات الكتب كمقررات دراسية

لم تذكر المصادر جميع الكتب المقررة للدراسة بالمدارس[6]، لكن في مجال الفقه الفقه اعتبرت كتب الفقه المالكي أهم المواد الدراسية التي اعتمد عليها فقهاء الدولة

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ص443، ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس، المسمى ب: نثير الجمان، تح: محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص414، أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص362.

2- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص233.

3- ألفريد بل، المرجع السابق، ص335.

4- محمد بوشقيف، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط، خلال القرن 9هـ/15م، (رسالة ماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004، ص143.

5- فاطمة الزهراء عمارة، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (8-9هـ/14-15م) (رسالة ماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010، ص85.

6- القلصادي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص103، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص122-123.

الزيانية في مجال التدريس، وبذلك فإنّه من الواضح أنّ علم الفقه كان له النصيب الأكبر من الحصص الدراسية[1] بالمدارس مقارنة بالعلوم الأخرى.

اعتمد المدرسون بتلمسان الزيانية في تدريس الفقه المالكي على مدونة الإمام مالك، وهي عبارة عن أسئلة وأجوبة في الفقه المالكي، رواها الإمام محمد بن سحنون التنوخي عن الإمام عبد الرحمان القاسم عن الإمام مالك[2]، وكان أبو عبد الله الشريف على طريقة شيخه أبي يزيد في تدريس الفقه في أكثر أوقاته بالمدرسة اليعقوبية، مركزا على تدريسه المدونة[3]، كما اعتمد على النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني، وهي موسوعة فقهية اعتمد في تأليفها على أمهات كتب الفقه المالكي[4].

كما تم الاعتماد على كتاب "جامع الأمهات" لابن الحاجب الفرعي[5]، وقد ذكر في نازلة دليل على أنّ هذا الكتاب كان يدرس للطلبة[6]، حيث جاء فيها "وقع لشيخنا المذكور في مجلس الدرس حين قرأنا عليه قول ابن الحاجب"[7]، كما ذكر التنسي ما يشير إلى ذلك حيث قال: "كنت أحضر مجالس الشيخ الحسن في تدريسه لفروع ابن الحاجب ويأتي في أثناء تقريره بالعجائب ممّا لا أشاهده عند غيره من علماء الوقت"[8]. ومن الكتب المتداولة

1- ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص104، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص136-137، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص276، المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ص19.

2- محمد الزين، حركة العلوم والكتب المتداولة في المغرب الأوسط من خلال كتاب "الدّرر المكنونة في نوازل مازونة"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، العدد 4، جوان 2018، ص 32- 33.

3- ابن مريم، المصدر السابق، ص172.

4- محمد الزين، المرجع السابق، ص 32- 33.

5- ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، فه: محمد حجي، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص9، المقري، المصدر السابق، ج6، ص185-187.

6- محمد الزين، المرجع السابق، ص 34.

7- المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ج1، ص277.

8- فاطمة الزهراء عمارة، المرجع السابق، ص93.

في التدريس كذلك، كتاب المختصر لخليل بن إسحاق[1]، ومختصر المدونة لابن أبي زيد[2]، وكذلك نجد كتاب المختصر في الفروع لعثمان بن عمر بن الحاجب[3].

اعتمد المدرسون في إقرائهم الفقه المالكي على"تحليل المدونة على طريقة المناقشات اللفظية وضبط الروايات وتصحيحها"[4]، واهتم أبو الحسن بن مخلوف بتدريس الفقه معتمدا على التحقيق في حل المسائل حتى صار كثيرا من العلماء والمدرسين يصرحون بتفوقه في تدريس الفقه[5]، وانتفع الناس بتدريسه في قراءة كتب الفقه[6]، "وكان إذا بحث في مجلسه من الفقهاء لم يسمع بحثه حتى يسأله عن صورة المسألة فبعضهم يرجح عليه بعضهم يقررها على غير ماهي عليه، ومن فساد تصورها نشأ له التخليط والبحث في تصديقها وبالجملة لا يسمع الشيخ مجازفة ولا تخليطا ولا كلاهما في تصديق مسألة إلاّ بعد اتفاق تصورها"[7].

وعرفت تلمسان مجموعة من الفقهاء المجتهدين بالمدارس[8]، كأبي زيد بن الإمام الذي كان الإقبال على تدريسه للفقه المالكي كبيرا[9]، وذلك بحكم مكانته العلمية في الفقه فهو كان شيخ المالكية بتلمسان[10]، وكان أبو موسى بن عمران المشدالي الذي يعد من كبار الفقهاء[11]، من جملة ما يدرسه بالمدرسة التاشفينية جميع العلوم التي يتقنها، إلاّ أنّه كان كثير الاتساع في علم الفقه[12]، فتخرج على يديهما العديد من الطلبة عدوا فيما بعد من كبار

1- القلصادي، المصدر السابق، ص104.
2- المقري، المصدر السابق، ج6، 174.
3- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.
4- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص448.
5- ابن مريم، المصدر السابق، ص92.
6- ابن مريم، المصدر نفسه، ص126.
7- ابن مريم، المصدر نفسه، ص92.
8- ألفريد بل، المرجع السابق، ص356.
9- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص136-137.
10- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص266، ابن مريم، المصدر السابق، ص172.
11- أصله من "زواوة بجاية"، توفي في حدود خمسين وأربعين وسبعمائة، لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك، وحفظا لأقوال أصحابه، وعرفانا بنوازل الاحكام، وصوابا في الفتيا، فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص92.
12- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص123، المقري، المصدر السابق، ج6، ص187.

الفقهاء المجتهدين[1]. ويبدوا أنّ منهج الاجتهاد في المذهب المالكي الذي ساد المدارس التلمسانية قد أثر في مضمون المواد الدراسة الفقهية.

وفي علم الحديث نجد أهم الكتب المعتمد عليها كمواد دراسية صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكذا الموطأ الذي يعتبر أكثر المؤلفات استعمالا رغم وجود الصحيحين[2]، هذا إضافة إلى كتاب "التقي" لابن عبد البر، وكتاب "الشفا في التعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض و"الأحكام الصغرى" لابن عبد الحق[3].

وفي علوم اللغة العربية نجد في علم البيان اعتمد للتدريس كتاب "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"[4]، لجمال الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن مالك[5]، بالإضافة إلى "الألفية"[6] وكتاب "الجمل في النحو"[7]. هذا بالإضافة إلى كتاب "الإيضاح في النحو"[8] للفارسي[9]، وكتاب "النحاة" لابن سينا[10]، وكتاب "مغنى اللبيب" لابن هشام[11].

1- المقري، المصدر السابق، ج6، ص187.

2- محمد الزين، المرجع السابق، ص 32- 33.

3- القلصادي، المصدر السابق، ص103، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242، المقري، المصدر السابق، ج6، ص176.

4- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.

5- وهو كتاب جامع لمسائل النحو لا يفوت ذكر مسائله وقواعده، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1999م، ج1، ص338.

6- وهو كتاب الألفية في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن مالك النحوي(672هـ)، ينظر حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج1، ص172-173.

7- لم يفرق لنا البلوي بين ثلاث كتب في النحو كلها بعنوان"الجمل في النحو"، الأول لعبد القادر الجرجاني(ت474هـ)، الثاني لأبي القاسم الزجاجي(ت339هـ)، والثالث لأبي عبد الله محمد بن هشام النحوي(ت570هـ) ينظر: حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج1، ص472-473.

8- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.

9- هو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي المتوفى سنة 377هـ، وكتاب متوسط مشتمل على مائة وستة وتسعون باب إلى مائة وست وستين نحو والباقي إلى آخره تصريف، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص214.

10- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص204.

11- التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص04.

أمّا في علم العقيدة نجد كتاب "العقيدة البرهانية"[1] للفقيه أبي عمر وعثمان السلالجي[2] (ت564هـ)، ونجد كذلك كتاب "الاقتصاد في الاعتقاد"[3] لأبي حامد الغزالي (ت505هـ)[4] وفي السيرة فقد ذكرت لنا المصادر" سيرة ابن إسحاق"[5].

ولقد اعتنت المدارس بتدريس التصوف، فبالإضافة إلى كتاب "إحياء علوم الدين" و"كتاب الميزان" لأبي حامد الغزالي[6]، نجد كتاب "الحكم العطائية"[7] لابن عطاء الله الإسكندري[8] ، و"شرح الحكم العطائية" لابن عباد[9] ، ونجد كذلك كتاب "لطائف المنن[10] في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن لابن عطاء السكندري"[11].

شهدت تلمسان كذلك تطور تدريس العلوم العقلية، فقد كان لأبي عبد الله الآبلي(757هـ/1356م) مساهمة في تطور العلوم العقلية[12]، واستفاد منه عدد من علماء المدارس منهم أبو عبد الله الشريف[13]، وعبد الرحمن ابن خلدون[14]، وأبو عثمان سعيد العقباني(854/1450م) الذي أخذ الأصول عن الآبلي[15]، فقد أخذ أبو عبد الله الشريف التلمساني جملة وافرة من العلوم العقلية، فقرأ كتاب الشفاء لابن سينا، وتلخيص كتاب

1- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص04.
2- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص164.
3- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.
4- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص161.
5- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.
6- التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص242، القلصادي، المصدر السابق، ص104.
7- القلصادي، المصدر نفسه، ص103.
8- هو أبو الفضل محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء السكندري الشاذلي المالكي المتوفى بالقاهرة سنة 709، وهي حكم منتورة على لسان أهل الطريق، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص520.
9- القلصادي، المصدر السابق، ص103.
10- القلصادي، المصدر نفسه، ص103.
11- الكتاب فيه جملا من فضائل الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي الأنصاري الفارسي وشيخه أبي الحسن الشاذلي الذي نقل عنه أو سمع منه، ورتبة على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص463.
12- ابن القاضي، ذكر الاقتباس بمن حل من الأعلام مدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973، ص304.
13- فاطمة الزهراء عمارة، المرجع السابق، ص94.
14- ابن مريم، المصدر السابق، ص216.
15- التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص66.

أرسطو لابن رشد، كما أخذ من الحساب والهندسة والفرائض[1]، وأتقن هذه العلوم تعليما " ولم يجد بها صعوبة حتى صار إماما في العلوم كلها منطقا، وحسابا، وتنجيما، وهندسة، وموسيقى، وطبا، وتشريحا، وفلاحة[2]، وقد ساهم علماء تلمسان في العلوم العقلية تأليفا وتدريسا[3]. ما يعني أنّ العلوم العقلية كان جزءا من المقررات الدراسية.

وكانت تلمسان أهم مركز لدراسة العلوم الرياضية ببلاد المغرب وفروعها خلال الفترة الزيانية، رغم تأكيد الغبريني وابن خلدون على ضعف الاهتمام بالرياضيات عند أهل المغرب عموما[4]، فقد برز عدد لا بأس به من العلماء المهتمين بفروع الرياضيات وتدريسها، ففي علم الحساب نجد من الكتب المتداولة، كتاب تلخيص أعمال الحساب[5] لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن البناء المراكشي(ت 721ه/1321م)[6]، كما اعتمد للتدريس في علم الحساب على الأرجوزة الياسمينية[7] في الحبر والمقابلة[8].

وفي علم الفرائض فبالإضافة إلى شرح التلخيص لمحمد بن عبد الرحمان المغراوي في الفرائض[9] ، نجد كتاب الفرائض والمشهور بالحوفي لمؤلفه احمد بن خلف الحوفي[10] وكتاب منتهى التوضيح في عمل الفرائض[11]، ومن المؤكد أنّ أبا عثمان سعيد العقباني أخذ بالطريقة الجديدة في حساب الفرائض للتدريس بالمدرسة التاشفينية[12]، هذه الطريقة التي ابتكرها أبو القاسم عبد الرحمن القرشي الذي ألّف في هذا الغرض مقالة نوّه

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص165.

2- ابن مريم، المصدر نفسه، ص173.

3- ابن مريم ، المصدر نفسه، ص204، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص106.

4- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص227، ابن خلدون، الصدر السابق، ص 439، ابراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن15/9م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص432.

5- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص472.

6- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص383.

7- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.

8- مؤلف الأرجوزة هو أبو محمد عبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين(ت600ه)، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص110-111.

9- القلصادي، المصدر السابق، ص103، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص122-123.

10- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص103.

11- القلصادي، المصدر السابق، ص103.

12- التبكتي، ص المصدر السابق، ص204، ابن مريم، المصدر السابق، ص106-107.

بها سعيد بن محمد في شرحه مختصر الحوفي وقال عنها: " هي طريقة تحذر فيها أن تخرج الفريضة على هذا الوجه، بل لا تخرج في تلك الطريقة إلا من عدد تصح منه الكثير، وهي طريقة بديعة وما أراها إلا من اخترعه لم يسبقه بها غيره، إلاّ أنّه لم يضع منها سوى ما يتعلق بوضع أصل الفريضة أو بعمل المناسخات... وهو ما حملني على وضع هذا الكتاب لأخلص تلك الطريقة وألخصها...فتمت الطريقة وأوضحت كيفية جريانها في كل باب من أبواب الفرائض"[1]، وكان الحسن أبركان(857هـ/1453م) من جملة ما يتقنه من العلوم علم الفرائض والحساب[2].

كما اعتنى علماء تلمسان بتدريس المنطق والأصلين العلوم العقلية، فقد اهتم أبو موسى ابن الإمام بتدريس هذين العلمين المنطق والأصلين[3]، وعلم الكلام[4]، كما اشتغل أبو موسى المشذالي بتدريس الأصلين والمنطق[5]، والجدل، والفرائض بالمدرسة التاشفينية[6]، ومن الكتب المتداولة في المنطق كتاب المطالع للسراج الأرموني[7]، وكتاب "الجمل في مختصر نهاية الأمل" في المنطق[8]، لأفضل الدين محمد بن نماور الخونجي[9]، ونجد في علم الجدل كتاب "المقترح للبروني"[10]، وفي الهندسة تم تداول كتاب إقليدس[11]، ولقد أخذ علم الطب والتشريح نصيب من المواد الدراسية بمدارس تلمسان، فقد ثبت عن أبي عبد الله الشريف إتقانه لهذه العلوم[12]، ومن المحتمل أن يكون قد درس هذه العلم بالمدرسة اليعقوبية.

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، 473.

2- ابن مريم، المصدر السابق، ص86-87.

3- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص22-36.

4- المقري، المصدر السابق، ج5، ص30، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص396، مج2، ص66.

5- ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

6- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف : محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ج7، ص245، ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

7- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.

8- المقري، المصدر السابق، ج2، ص187.

9- حاجي خليفة، المصدر السابق، ص472.

10- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص242.

11- التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص242.

12- ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

- **اعتماد المؤلفات الخاصة بعلماء تلمسان كمقررات دراسية**

كان للأساتذة المشرفين على المدارس في أغلب الأحيان الحرية في اختيار بعض الكتب الخاصة بهم كمقررات دراسية، فكان أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/1370م) يفضل تدريس كتابه في أصول الفقه "مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول"[1]، كما كان يدرس شرحه لكتاب الخونجي[2]، وأدرج المدرس ابن زاغو(ت849/1445م) مؤلفاته في التدريس بالمدرسة اليعقوبية[3]، ومنها مؤلفاته في علم التفسير وهي: "مقدمته في التفسير"، و"تفسير سورة الفاتحة" و"التذييل في ختم التفسير"[4]، وقد اشتهر بن زاغو بتقدمه في علم التفسير تدريسا وتأليفا[5].

وعلى هذا النحو تأثر الحافظ التنسي(ت899هـ/1494م) بمدرسة بن زاغو، واعتنى هو كذلك بعلم التفسير[6]، منظما أوقاته لتدريسه، ومحددا له أيّام خاصة[7]، كما نجد أبا عبد الله بن الشريف حريصا على درس التفسير مواظبا على قراءة الحزب بصفة دائمة، ويقرئ في درس التفسير نحو ربع حزب يوميا[8]، وأوّل ما كان يفتتح به أبو عبد الله الشريف التعليم بالمدرسة درس التفسير[9]، وقبل هذا كان درسه في التفسير حاضرا على مستوى الحضرة السلطانية في مجلس أبي عنان الذي شهد له بتفوقه في علم التفسير[10].

ولعلّ سبب غياب مقررات التفسير الرسمية في البرنامج هو اعتماد المدرسين على خبراتهم وقدراتهم العلمية في تفسير القرآن الكريم، فقد أخبرنا أبو جعفر الوادي أشي أنّه أخذ جملة وافرة من تفسير كتاب الله العزيز من سورة الأعراف بما يجب لذلك من التحقيق والتحرير، ممّا يذكره المفسرون، وما لم يذكره صاحب التفسير، بل من نتائج فكره المصيب ومتلقياته عن مشايخة الأعلام الذين ورث مقاماتهم بالفرض والتعصب[11].

1- التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص242، ابن مريم، المصدر السابق، ص118.
2- ابن مريم، المصدر نفسه، ص118، 173.
3- القلصادي، المصدر السابق، ص103، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص122-123.
4- القلصادي، المصدر نفسه، ص103، التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص122-123.
5- القلصادي، المصدر نفسه، ص103، التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص122-123.
6- التنبكتي، المصدر نفسه، ج2، ص261.
7- التنبكتي، المصدر نفسه، ج2، ص261.
8- ابن مريم، المصدر السابق، ص174.
9- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص136، التنسي، المصدر السابق، ص180.
10- ابن مريم، المصدر السابق، ص171.
11- فاطمة الزهراء عمارة، المرجع السابق، ص86.

أمّا في علم القراءات نجد كتاب "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المتاني"[1]، وهي القصيدة المعروفة بالشاطبية[2]، أمّا الحافظ التنسي الذي سبق ذكره فقد ألف كتابا في علم القراءات ورسم القرآن سماه "الطراز في شرح الخراز"، وهو شرح وسط بين الاختصار والاسهاب لنظم الشريشي المعروف يالخراز في علم الضبط، أي ضبط القراءات والرسم، وقد أراده التنسي كتاب أقرب لفهم طلابه، لذلك لا يستبعد أن يكون ضمن مقرراته الدراسية الخاصة[3].

3- تأثير المدرسة الأندلسية والمشرقية على تطور المواد الدراسية

إنّ مدينة تلمسان في تسلسها التاريخي مدينة قديمة وعامرة، ونشاطها العلمي كان نشاطا متنوعا ومنفتحا على آفاق مختلف العلوم، ترافق ذلك مع امتدادها المتفاعل، فبقي الميراث العلمي والمعرفي في الفترات الزاهرة التي مرّت بها الحضارة العربية والاسلامية التي عايشتها، وساهمت فيها مساهمات جليلة، الأمر الذي انعكس بطريقة إيجابية في مجمل الصلات العلمية التي ربطت واقع هذا النشاط بروابط متينة بكثير من المدن العلمية المعاصرة لها، وخاصة معاهد وجوامع وتكايا ومدارس الأندلس.

1.3- تأثير المدرسة الأندلسية

استفادت تلمسان وبشكل كبير من هجرة علماء الأندلس فكانت أهم هجرة أندلسية إلى تلمسان الزيانية في منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، حيث نزلت جالية كبيرة تتشكل أساسا من نخبة الأندلس، وأهل البيوتات، ووجوه القوم وأعيان الأندلس، خاصة الذين كانت لهم خبرة في مجال الإدارة، الكتابة، السياسة والتدريس، حيث وجدوا الترحيب والتعضيد، من قبل الأسرة الزيانية[4]، خاصة منهم يغمراسن الذين فضل أن يسكن المهاجرون الأندلسيون مدينة تلمسان عن غيرها من المدن الأخرى[5]، ولعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان كانت في عهدي الأميرين عبد الواحد بن أبي عبد الله(814-827هـ)، وخلفه أبي العباس أحمد الزياني(834-862هـ)، وقد

1- المقري، المصدر السابق، ج6، ص176.

2- للتعريف بالشاطبية ينظر: المصدر السابق، ج1، ص502.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص120.

4- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب وعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص683-711-787.

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السالبق، ص175.

وجههم هذا الأخير حسب طبقاتهم، فالعلماء أنزلهم بمدينة تلمسان إلى جانب وجهاء القوم منهم بدرب عرف بدرب تلمسان[1]. وقد استمر تدفق الهجرة الأندلسية وتقاطرها على مدينة تلمسان إثر وبعد سقوط غرناطة وزوال دول بني الأحمر سنة 897هـ/1492م.

وعمل المثقفون الأندلسيون على إدخال نظام التراتيب والمراسم والآداب داخل تلمسان بحكم وجود نظم في الأندلس أكثر ممّا كان في المغرب[2]، فقد تقلد المثقفون الأندلسيون مراكز ومناصب مهمة داخل تلمسان، وهي المناصب التي يطلق عليها أرباب القلم، مثل العالم أبو بكر بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي الكاتب والشاعر والفقيه، عمل في الكتابة على عهد السلطان يغمراسن، وقد وصف بعد موته، بوفاته انقرض علم الكتابة "فقد برز عن غيره في هذا العلم[3].

استفادت الحياة العلمية في تلمسان من هجرة علماء الأندلس إليها أثناء المد الاسباني نحو المدن الأندلسية[4]، فقد حمل العلماء المهاجرن علومهم، وآدابهم، وفنونهم إلى تلمسان وغيرها من حواضر المغرب، وقاموا بتنظيم حلقات العلم والدروس داخل مساجد ومدارس المدينة المشهورة مثل المسجد الجامع الذي أصبح يوازي جامع الزيتونة والقيروان[5].

ومن العلماء الأندلسيين الذين دخلوا تلمسان وبرزوا فيها ابراهيم بن أحمد والد الأبلي شيخ ابني خلدون، الذي تزوج من بنت ابن غلبون قاضي تلمسان، وقد اشتهر في العلم والأدب والشعر والفقه[6]، كذلك دخل تلمسان العلامة لسان الدين بن الخطيب سنة 772هـ/1371م ومكث فيها فترة وبعث يطلب أسرته من الأندلس ليقيم بالمدينة، إلاّ أنّ الظروف السياسية منعت ذلك[7].

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص127..

2- العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص215.

3- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص433، التنسي، المصدر السابق، ص126، الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص92.

4- بل ألفريد، المرجع السابق، ص330، حاجيات عبد الحميد، أبو حمو الثاني حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص53.

5- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص248.

6- ألفريد بل، المرجع السابق، ص311.

7- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص35.

كما ظهرت بتلمسان عائلات أندلسية، توارثت العلم عن بعضها البعض، مثل عائلة العقباني[1]، التي اشتهر منها أبو عثمان سعيد العقباني بالاقراء، كما اشتهر ابنه سعيد الذي برز في المعقول والمنقول، ثم ولداه أحمد وابراهيم، وبعده محمد بن أحمد الذي استلم القضاء في تلمسان، وهناك عائلة الشريف الحسني التي كان من أهم من برز فيها أبو عبد الله الشريف ت771هـ، وابنه عبد الله سنة 793هـ/1391م[2]، وعائلة مرزوق التي اهتمت بخدمة ضريح الولي أبي مدين في العباد، وأثناء ذلك اهتمت بالعلم فبرز منها مجموعة من الأشخاص منهم أبو عبد الله محمد بن مرزوق[3]، وعائلة هدية التي برز منها أبو عبد الله ابن هدية الكاتب والمؤرخ، وابنه أبو الفقيه والقاضي والخطيب، وابنه أبو الحسن الفقيه والخطيب والمدرس بالجامع الأعظم[4].

2.3- تأثير المدرسة المشرقية

كان أهل المغربين يعتمدون بالدرجة الأولى على تعليم القرآن، لكن هذه الطريقة تغيرت بعد عودة بعض شيوخ تلمسان من بلاد المشرق وإفريقية، وعلى رأسهم ابنا الإمام، وعمر المشذالي، الذين تأثروا بمنهج المشارقة وأهل إفريقية، ونقلوه إلى مدينة تلمسان خلال القرن الثامن الهجري، وعملوا على نشره، وأدخلوا بعض المواد الجديدة كرواية الشعر والترسل، وقوانين اللغة العربية وحفظها والحديث وتجويد الخط والكتابة[5]، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، ووقوفهم على روايات القرآن الكريم ومختلف قراءاته، حتى يحصل الدارس ملكة في اللسان العربي[6].

كان الصبيان بعد تحفيظهم في المرحلة الأولى القرآن ينتقلون إلى تعلم الخط، فكان المعلم يرسم خطا يقلده الصبي، يحذون حذوه، وكثيرا ما كانت هذه النماذج الخطية من الأشعار وسواها[7]، ولعل هذه الطريقة كانت سائدة في بلاد المشرق، ويبدو أنّها وصلت إلى بلاد المغرب متأخرة[8].

1- الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص90-92،
2- الحفناوي، المصدر نفسه، ج1، ص245.
3- الجيلالي عبد الرحمان، المرجع السابق، ج2، ص131.
4- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص116-117.
5- ابن خلدون، المقدمة، ص1038.
6- ابن مريم، المصدر السابق، ص215.
7- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص346.
8- المرجع نفسه، ص346.

أولت السلطة الزيانية اهمية قصوى للتعليم في المساجد منذ قيام الدولة، ويتجلى ذلك في استقرار أبي إسحاق التنسي التلمساني بتلمسان[1]، والذي عدّ من كبار فقهائها[2]، وأخيه أبي الحسن الذي كان على شاكلته علما ودينا وورث مكانته بعد وفاته[3]، وأبو عبد بن النّجار الذي عاد من رحلته العلمية بعلم كثير"فاستخلصته الدولة الزيانية"[4].

أمّا ابن خميس(ت708هـ) فكان يهوى التعليم ويفضله على كل المناصب[5]، علما أنّ ابن خميس كان متعدد التخصصات فهو شاعر، وصوفي، وفيلسوف، وفقيه، إضافة إلى تحكمه في كثير من الوقائع والأحداث التاريخية[6]، وقد وصفه قاضي قضاة مصر تقي الدين بن دقيق العيد بأنّه عالم، أثناء لقاءه الشيخ أبا اسحاق التنسي[7]، وقد تتلمذ على يده كثيرون منهم: محمد بن علي بن الفخار الجذامي(ت723هـ)، والشاعر الأديب محمد بن إبراهيم بن عيشون البلفيقي[8]، ولا نستبعد أنّ لابن خميس محاولات لنشر الفلسفة باعتبارها من اهتماماته والتي برزت من خلال مؤلفه "رسالة ابن خميس".

4- نتائج تطوير المواد الدراسية

كان للمدارس دور هام في حركة التعليم، وحافظت على حيويته وعلى نشر التعليم السني المالكي، بإشراف الفقهاء والدولة في المدن منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وتهيمن على عقول الناس وعلى التعليم الشعبي العام، والاحترافي في الزوايا التي لا تراقبها الدولة، وساعد نظام المدرسة ومجانية التعليم فيها على استقبال عدد كبير من الطلاب، قدموا إليها من مختلف الفئات الاجتماعية ومن المدن والبوادي المتباينة، لما توفره الدولة من إعانة ومؤن ومسكن وكتب[9].

تأثر المسجد فيما يبدوا بنظام المدرسة في التعليم واتجاهاته منذ منتصف القرن الثامن الهجري بحيث أصبحت الدولة تتدخل في تعيين الأساتذة، وأحداث

1- التنسي، المصدر السابق، ص127.
2- صابرة خطيف، المرجع السابق، ص266.
3- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، 114.
4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص47.
5- مرتاض محمد، من أعلام تلمسان(مقاربة تاريخية، فنية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص61.
6- المرجع نفسه، ص60.
7- المقري، المصدر السابق، ص365-369.
8- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج2، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ص271.
9- ابن مريم، المصدر السابق، ص219-220، التنبكتي، المصدر السابق، ص333-334.

كراسي مادة معينة، من خلال كتاب دراسي معين وهو الآخر يتقاضى المكلف بتدريسها راتبا شهريا من الأوقاف، وتنقسم الكراسي إلى نوعين: كرسي موجه للجمهور، كرسي موجه للطلاب المنتظمين أو النظاميين، يقوم بالتدريس فيه أساتذة أكفاء، والعلوم التي يدرسنها، يتقاضون أجورا عالية عليها، مقارنة مع الأساتذة المعينين لكراسي الوعظ[1]، وقد اعتبر بعض الفقهاء التدريس على الكرسي بدعة[2]، غير أنّ محمد السنوسي في تلمسان تصدى لهذا الرأي وأباح للأستاذ الجلوس على الكرسي، حتى يكون جميع الطلبة، أمام أنظاره ويتمكن من إيصال العلم إليهم جميعا[3].

الخاتمة: على غرار دول المغرب الإسلامي ظل التعليم يتلمسان الزبانية يقوم على جعل القرآن الكريم مادة دراسية لا غنى عنها لكل طالب علم، متبعين في ذلك تعاليم الدين الإسلامي، والسنة النبوية الشريفة، وكانت المواد الدراسية يتلمسان تقسم إلى إجبارية واختيارية، فالإجبارية منها يخص الصغار والكبار، أمّا الاختيارية فتتمثل في وجود حرية لطالب العلم في اختيار المواد الدراسية التي يريد، والتي شملت خاصة التخصصات العلمية.

وكان من خصائص المواد الدراسية أنّها بعيدة عن الانغلاق، وتتميز بالانفتاح، ذلك أنّ تلمسان خلال الفترة الزبانية كانت تسعى جاهدة لمواكبة التطورات العلمية التي كانت تشهدها المراكز العلمية الكبرى، خاصّة المشرقية منها لإجماع علماء الفترة أنّها الأكثر تقدما، خاصة فيما يتصل بجودة التعليم، دون إغفال بقية الحواضر المتصلة يتلمسان جغرافيا وتاريخيا.

وبذلك فقد شهدت تلمسان بفضل العدد الهائل من العلماء الذين كلفوا بمهنة التدريس خاصة أولئك الذين كان لهم نصيب وفير من الرحلة في طلب العلم إلى المشرق، ظهور عدد لا بأس به من المواد الدراسية التي أصبحت تدرس بالمدارس التلمسانية، خاصّة أن عامل الحرية قد منح للطالب حرية اختيار المعلم، وحرية اختيار التخصص، يضاف إلى ذلك أن المعلم لم يكن ملزما بمقرر دراسي، غير أنّه ومن باب الإنصاف يجب أن نشير في الختام إلى أنّ تلمسان لم تعرف إلاّ عددا محدودا من المواد الدراسية مقارنة بالمشرق، وقد يرتبط ذلك بعوامل متعددة، قد تكون مجال لأبحاث علمية قادمة.

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص177-178.

2- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص486 .

3- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص349.

المصادر والمراجع:

ابن القطان، نظم الجمان، تح: محمود علي مكي، طبعة جامعة محمد الخامس، الرباط.
ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979.
ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب وعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968.
ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية 1980.
ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة
ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال وكولان، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1967.
ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج2، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
ابن منصور عبد الوهاب، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1965.
ألفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، 2002.
بوشقيف محمد، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط، خلال القرن 9هـ/15م، (رسالة ماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004.
التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، نح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.
التنسي، تاريخ بنى زيان ملوك تلمسان، مقتطف من : نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك تلمسان، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1983.
حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1999م.
حاجيات عبد الحميد، أبو حمو الثاني حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
حركات ابراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن15/9م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000

الحسين اسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/7-15م)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية (سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 2-)، الرباط 2004.

الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي. ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس، المسمى ب: نثير الجمان، تح: محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987.

صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني زيان، ابن النديم للنشر والتوزيع.

الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

فاطمة الزهراء عمارة، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (8-9هـ/14-15م) (رسالة ماجستير)، مكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010.

فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العصر الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج2، موقم للنشر والتوزيع، الجزائر.

القابسي، الرسالة المفصلة في أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، تح: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1986.

القرطبي ابن البر النمر، جامع بيان العلم وفضله، ج2، المكتبة السلفية، 1968.

القلصادى، رحلة القلصادى، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

القلقشندي، صبح الاعشى في كتابة الإنشا، ج1، دار الكتب المصرية، 1922.

مرتاض محمد، من أعلام تلمسان(مقاربة تاريخية، فنية)، دار الغرب للنشر والتوزيع.

المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: سعيد أحمد عراب وعبد السلام الهراس، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية، 1980، ج3.

المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج6، ط1، دار الفكر، بيروت، 1998.

الناصري السلاوي، الاستقصاء، ج1، دار الكتاب، ، الدار البيضاء، د ت.

الوزان حسن، وصف افريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1980.

الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

المرجع الأجنبية:

Bel(Afred), Les inscritions de Fés, J. A, 918 .